



الإنسان بطبيعة يميل إلى من وافقه وينفر عن خالفه، ولا يمكنه دفع ذلك بحال، وعنه تنشأ التكتلات البشرية الكبيرة منها والصغرى. وكلما انتقلنا إلى أطروحتات فكرية أعمق وتفاصيل أدق اتسعت مساحة الخلاف ونشأت دوائر تكتلية أضيق.

فالجماعة الكبيرة التي تجمعها أصول كلية واحدة، إذا أغرت في الجزئيات تباينت لديها وجهات النظر ونشأ بين أبنائها الاختلاف، وهو بطبيعة الحال ظاهرة صحية تغذي الفكر وتثري الموضوع محل البحث، إذا ضبطت بالمعايير العلمية والأدبية.

إن وجود الجماعات الإسلامية في ميدان العمل الإسلامي بهذه الرؤية أمر لا يمكن دفعه بل يجب تقبله مع العمل على إضافته وترشيده.

أما قولبة الأتباع وختفهم بطبع واحد فيه تعطيل للقدرات وحجر على العقول ومصادر الإبداع، وينتج عنه في الغالب ردات فعل عكسية من التابع على المتبوع، ولو بعد حين.

إن تشكل التيارات الإسلامية المختلفة في إطار الهدف الواحد والغاية النبيلة الواضحة، وهي دعوة الناس إلى ما تضمنه معنى الشهادتين، وإخضاع المجتمع إلى حكم الله وسلطانه، هو اختلاف في الوسائل والأولويات والموازنات، ومبني ذلك على اختلافهم في المدارك والنظر، ثم تباينهم في الطبائع والأمزجة والميول الفطرية والنفسية والتربوية. وكل ما تقدم يكشف لك عن حقيقة الدعوات التي تتجاهل هذه المسلمات وتريد أن تقفز عليها، بدعوتها لتوحيد الأفكار الجزئية والتنوعية.

فأعلنـت عداءـها وحرـبـها عـلـى كـلـ الجـمـاعـاتـ الإـسـلامـيـةـ الصـالـحةـ العـاـمـلـةـ فـيـ الـمـيـدـانـ،ـ وأـصـبـحـتـ أـدـاءـ تـشـيـتـ وـتـمـزيـقـ فـيـ الـأـمـةـ،ـ وـهـيـ تـرـيدـ جـمـعـهاـ عـلـىـ الـمـسـتـحـيلـ.

لقد صار نـزـمـ الحـزـبـيةـ وـالـتـحـذـيرـ مـنـهـ بـالـمـطـلـقـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ هـذـهـ فـتـةـ هـاجـسـاـ لـدـعـاتـهـمـ لـاـ يـكـادـ يـخلـوـ مـنـهـ مـقـالـ أوـ خـطـبـةـ أوـ دـرـسـ،ـ بـمـنـاسـبـةـ وـبـدـونـ مـنـاسـبـةـ.

ومـسـتـنـدـهـمـ فـيـ ذـلـكـ عـامـةـ النـصـوصـ الـأـمـرـةـ بـالـجـمـعـاءـ،ـ النـاهـيـةـ عـنـ التـفـرـقـ وـالـنزـاعـ.ـ فـأـسـقـطـوـهـاـ هـذـهـ النـصـوصـ عـلـىـ جـمـيعـ الـاجـتـهـادـاتـ بـمـاـ فـيـ ذـلـكـ مـاـ كـانـ ظـنـيـ الدـلـالـةـ،ـ وـأـسـقـطـوـهـاـ كـذـلـكـ عـلـىـ اختـلـافـ الـوـسـائـلـ،ـ وـهـوـ حـتـمـيـ.

ويلزمهم من هذا تضليل جماهير الأمة من المدارس الفقهية المختلفة، بل تضليل السلف الصالح بما فيهم الصحابة الكرام، بل يلزمهم تضليل أنفسهم وجماعتهم بالضرورة.
لأنهم كذلك حزبيون وإن حاربوا الحزبية المقيمة عند مخالفיהם.
ووقعوا في كل المحاذير التي نقومها من الآخرين.

لقد دعوا إلى نبذ الجماعات الإسلامية ومحاربتها فانشغلوا بحربها عنمن هو أولى بتلك الحرب منها، من المنافقين في الداخل، وصنوف الأعداء في الخارج.
فانحاز إليهم من وافق منهجهم، فكان ماذا؟
كل من وافقهم في نبذ الحزبية قربوه وكل من خالفهم فيها أقصوه.
فكان ماذا؟

تقتل جديد يحارب كل الجماعات والأحزاب الإسلامية، وشعاره لا حزبية في الإسلام، وصار له رموز يتغصب لهم، ثم مركز علمي باسم إمامهم يجمعهم ويعقدون فيه دوراتهم التي ترسخ فكرهم ومنهجهم.
فأصبح ينطبق عليه في الحقيقة وصف الحزب وإن لم يشعروا، ويصدق عليه في نظري تسميته بحزب "اللآخر".

[صفحة الكاتب على فيسبوك](#)

المصادر: